

روح المعاني

إن له مرضعا في الجنة ولو عاش لكان صديقا نبيا ولو عاش لأعتقت أخواله من القبط وما أسترق قبطي وفي سنده أبو شيبة إبراهيم بن عثمان الواسطي وهو على ما قال القسطلاني ضعيف ومن طريقه أخرجه ابن منده في المعرفة وقال : إنه غريب وكأن النووي لم يقف على هذا الخبر المرفوع أو نحوه أو وقف عليه ولم يصح عنده فقال في تهذيب الأسماء واللغات : وأما ما روى عن بعض المتقدمين لو عاش إبراهيم لكان نبيا فباطل وجسارة على الكلام على المغيبات ومجازفة وهجوم على عظيم ومثله ابن عبد البر فقد قال في التمهيد : لا أدري ما هذا فقد ولد نوح عليه السلام غير نبي ولو لم يلد النبي إلا نبيا لكان كل أحد نبيا لأنهم من نوح عليه السلام وأنا أقول : لا يظن بالصحابي الهجوم على الاخبار عن مثل هذا الأمر بالظن فالظاهر أنه لم يخبر إلا عن توقيف من رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا صح حديث ابن عباس رضي الله عنهما المرفوع أرتفع الخصام لكن الظاهر أن هذا الأمر في إبراهيم خاصة بأن يكون قد سبق في علم الله تعالى أنه لو عاش لجعله جل وعلا نبيا لا لكونه ابن النبي صلى الله عليه وسلم بل لأمر هو جل شأنه به اعلم والله أعلم حيث يجعل رسالته وحينئذ يرد على الشرطية السابقة أعني قوله لأنه : لو بلغ لكان منصبه أن يكون نبيا منع ظاهر والدليل الذي سبق فيما سبق لا يثبتها لما أن ظاهره الخصوص فيجوز أن يبلغ ولد ذكر له غير إبراهيم ولا يكون نبيا لعدم أهليته للنبوّة في علم الله تعالى لو عاش .

وقول بعض الأفاضل : ليس مبني تلك الشرطية على اللزوم العقلي والقياس المنطقي بل على مقتضى الحكمة الإلهية وهي أن الله سبحانه أكرم بعض الرسل عليهم السلام بجعل أولادهم أنبياء كالخليل عليه السلام ونبينا صلى الله عليه وسلم أكرمهم عليه وأفضلهم عنده فلو عاش أولاده أقتضى تشريف الله تعالى له وأفضليته عنده ذلك ليس بشيء لأننا نقول : لا يلزم من إكرام الله تعالى بعض رسله عليهم السلام بنبوّة الأولاد وكون نبينا صلى الله عليه وسلم أكرمهم وأفضلهم إقتضاء التشريف والأفضلية نبوة أولاده لو عاشوا وبلغوا ليقال إن حكمة كونه E خاتم النبيين لكونها أجل وأعظم منعت من أن يعيشوا فينبؤوا ألا ترى أن الله تعالى أكرم بعض الرسل بجعل بعض أقاربهم في حياتهم وبعد مماتهم أنبياء معينين لهم ومؤيدين لشريعتهم غير مخالفين لها في أصل أو فرع كموسى عليه السلام ونبينا E أكرمهم وأفضلهم ولم يجعل له ذلك .

فإن قيل : إنه عوض صلى الله عليه وسلم عنه بأن جعل جل شأنه له من أقاربه وأهل بيته علماء أجلاء كأنبيا بني إسرائيل كعلي كرم الله تعالى وجهه كما يرشد إليه قوله صلى

اﻟﻪ ﺗﻌﺎﻟﻰ ﻋﻠﻴﻪ ﻭﺳﻠﻢ ﻟﻪ ﺭﺿﻰ ﺍﻟﻪ ﺗﻌﺎﻟﻰ ﻋﻨﻪ ﺃﻧﺖ ﻣﻨﻰ ﺑﻤﻨﺰﻟﺔ ﻫﺮﻭﻥ ﻣﻦ ﻣﻮﺳﻰ ﺇﻻ ﺃﻧﻪ ﻻ ﻧﺒﻰ
ﺑﻌﺪﻯ ﻗﻠﻨﺎ ﻓﻠﻢ ﻻ ﻳﺠﻮﺯ ﺃﻥ ﻳﺒﻘﻰ ﺳﺒﺤﺎﻧﻪ ﻟﻪ E ﺃﻭﻻﺩﺎ ﺫﻛﻮﺭﺎ ﺑﺎﻟﻐﻴﻦ ﻭﻳﻌﻮﺿﻪ ﻋﻦ ﻧﺒﻮﺗﻬﻢ ﺍﻟﺘﻰ
ﻣﻨﻌﺖ ﻋﻨﻬﺎ ﺣﻜﻤﺔ ﺍﻟﺨﺎﺗﻤﻴﺔ ﻧﺤﻮ ﻣﺎ ﻋﻮﺿﻪ ﻋﻦ ﻧﺒﻮﺓ ﺑﻌﺾ ﺃﻗﺎﺭﺑﻪ ﺍﻟﺘﻰ ﻣﻨﻌﺖ ﻋﻨﻬﺎ ﺗﻠﻚ ﺍﻟﺤﻜﻤﺔ
ﻭﺫﻟﻚ ﺃﻗﺮﺏ ﻟﻤﻘﺘﻀﻰ ﺍﻟﺘﺸﺮﻳﻒ ﻛﻤﺎ ﻻ ﻳﺨﻔﻰ ﻭﻗﻴﻞ : ﺍﻟﻤﻼﺯﻣﺔ ﻣﺴﺘﻔﺎﺩﺓ ﻣﻦ ﺍﻻﻳﺔ ﻻﻧﻪ ﻟﻮﻻﻫﺎ ﻟﻢ ﻳﻜﻦ
ﻟﻼﺳﺘﺪﺭﺍﻙ ﻣﻌﻨﻰ ﺇﺫ ﻟﻜﻦ ﺗﺘﻮﺳﻂ ﺑﻴﻦ ﻣﺘﻘﺎﺑﻠﻴﻦ ﻓﻼ ﻳﺪ ﻣﻦ ﻣﻨﺎﻓﺎﺓ ﺑﻨﻮﺗﻬﻢ ﻟﻪ E ﻟﻜﻮﻧﻪ ﺧﺎﺗﻢ
ﺍﻟﻨﺒﻴﻴﻦ ﻭﻫﻮ ﺇﻧﻤﺎ ﻳﻜﻮﻥ ﺑﺎﺳﺘﻼﺯﺍﻡ ﺑﻨﻮﺗﻬﻢ ﻧﺒﻮﺗﻬﻢ ﻭﻻ ﻳﻘﺪﺡ ﻓﻴﻪ ﻗﻮﻟﻪ ﺗﻌﺎﻟﻰ : ﺭﺳﻮﻝ ﺍﻟﻪ ﻛﻤﺎ
ﻳﺘﻮﻫﻢ ﻻﻧﻪ ﻟﻮ ﺳﻠﻢ ﺭﺳﺎﻟﺘﻬﻢ ﻟﻜﺎﻧﺖ ﺇﻣﺎ ﻓﻰ ﻋﺴﺮﻩ ﺻﻠﻰ ﺍﻟﻪ ﺗﻌﺎﻟﻰ ﻋﻠﻴﻪ ﻭﺳﻠﻢ ﻭﻫﻰ ﺗﻨﺎﻓﻰ ﺭﺳﺎﻟﺘﻪ
ﺃﻭ ﺑﻌﺪﻩ ﻭﻫﻰ ﺗﻨﺎﻓﻰ